تونس

ادباؤنا والمعركة

صالح الحاجة

عندما سقطت فرنسا تحت الاحتلال الالماني خرجت كجندي شجاع واحد لصد العدوان ، واتحد شعبها وحدة رائعة في وجه العدوان ، وكانت المدافع تطلق النار لتحرق الظلم والاستبداد ورغبة التوسع ، وكانت الاقلام الى جانبها تطلق هي ايضا طلقاتها في وجه العدو الالماني.

كانت الافلام تطلق الكلمات الهادئة الرصينة .. كلمات الامل والتفاؤل والنصر والحرية والكرامة .. وتوجهها الى الشعب الفرنسي لتساعده على القتال والنضال وتفرش طريق الموت من اجل الحياة بزهور الشجاعة والفتوة ..

واشهر قصيدة قيلت في هذا المجال قالها بول ايلوار وكان عنوانها (هناك كلمات تحيي) ..لقد عوضت هذه القصيدة كلمات صباح الخير وتصبح على الخير وحلت محل جميع كلمات التحايا واصبح الناس يرددونها كما يرددون اي اغنية شعبية ..

وكانت الاقلام ايضا تطلق كلمات اخرى .. ولكنها موجهة الى العدو .. كلمات فاسية .. مؤلمة .. قاتلة تبعث في العدو الشعور بالخزي والعار والفضيحة وتحثه على العودة الى بلاده والتوقف عن تقتيل الابرياء والاطفال والنساء .. وتهديم البيوت الامنة ..

ومن بين الاقلام التي لفتت الانظار اليها بمقالاتها في تلك الفترة الشجاعة من تاريخ فرنسا .. فلم البير كامو كان ينشر مقالاته على الصفحة الاولى من جريدة ـ كومبا ـ .. لقد ذاع صيت البير كامو عن طريق مقالاته السياسية قبل ان يلمع بواسطة كتابه ـ الغريب ـ .. وكان الناس يقبلون على قراءة مقالاته بنفس اللهفة التي يقرأون بها اخبار المعارك ..

لقد كانت مقالاته في تلك الفترة الخبز اليومي الذي يحيا به الناس .. انه خبز التلويح بالنصر وبعث الثقة في قوتهم وارادتهم .. وانهم شعب لا يقهر ولا يهزم .

والتاريخ حافل بالاشارات الى دور الكلمة في الحرب والشواهد التي تشهد ببطولتها في القتال .. ومن اراد ان يتأكد من دورها وبطولتها عليه ان يعود الى كتب التاريخ ففيها ما يشفي الغليل وسيجد في ما سيجد ان الكلمة اخذت مكانها في المعارك التي خاضها الاسلام ضد اعدائه وانها لعبت دورا عظيما في مساعدة المؤمنين على الصمود والاستمرار في القتال وبلوغ النصر .

ان للادباء والكتاب مهمة خطيرة في السلام والحرب يؤدونها بامانة .. ولهم مسؤولية يتحملونها في اوقات العسر واليسر بشجاعة . دورهم زرع الامل في دروب المقاتلين وتزيين الموت من اجل الحياة .. ومسؤوليتهم هجمات العدو الكلامية التي تستهدف تخريب الجبهة الداخلية وتشكيك الشعب في قدراته وامكانياته لينسحب من ميدان القتال ويهزم نفسه بنفسه ..

وفي هذه الايام التي نعيش فيها معركة من اشرف معاركنا .. ونترقب فيها النصر وندعو فيها بالانتصار لجيوشنا العربية على طغمة الظلام والعنصرية ..

في هذه الايام يتابع ادباؤنا تطورات القتال باهتمام ويعيشون اخبار المعركة ويترقبون النصر بلهفة شديدة وفي نفوسهم امل قوي .. وفي قلوبهم فرحة عارمة .. وفي اقلامهم خبر سيتحول الى انتاج ادبي جيد يزيد في اضاءة الطريق امام الاجيال العربية المؤمنة بوجودها والتي ستمضي في بناء المستقبل بلا عقد .

ومع بعض ادبائنا كانت لي لقاءات .. عبروا لي خلالها عن عواطفهم ومشاعرهم وانفعالاتهم وردود فعلهم تجاه معركة رمضان وامانيهم وتوقعاتهم .. لقد اخترت من اخترت من الادباء بعفوية مطلقة ..

ولاول مرة اقابل بترحيب جماعي شديد من طرف الادباء واستعداد فوري للاجابة على اسئلتي .. ولم اجد من بين من اتصلت بهم من رفض الاجابة او طلب مني ان اعطيه فرصة للتامل كلهم وافقوا وقالوا كلمتهم بسرعة ..

وهناك عدد اخر من الادباء اتصلت بهم ولكني لم اجدهم (بشير ابن سلامة ، مصطفى الفارسي ، المنجي الكعبي ، نورالدين صمود، محمد مصمولي ، احمد القديدي) .

واعرف ان هناك عددا كبيرا من ادبائنا لم اتصل بهم ، ولكن ليعذروني فان الوقت لم يسمح والظروف لم تمكنني الا من هؤلاء :

أحمد اللغماني :

انا لست سياسيا ولا افهم الاستراتيجية العسكرية ولكن مع ذلك انا مهتم بهذه الحرب اهتماما كبيرا لانني اعتبرها اسلوبا شريفا يمكن العرب من استعادة حقوقهم .

انني اعيش مع هذه الحرب عاطفيا منذ ان بدأت وادعو للعرب بالانتصار على عدوهم الذي شوه سمعتهم واعطى للعالم صورة مشوهة عنهم ..

ان هذه الحرب التي يخوضها العرب ستثبت للعالم ان الانسان العربي يحسن الدفاع عن ارضه وشرفه وانه ليس ذلك الانسان العاجز الذي لا يملك شجاعة الموت .

واهم ما سينجز عن انتصار العرب هو التغيير الذي سيطرأ على نظرة الرأي العام الغربي للانسان العربي .. سيصبح الرأي العام ينظر الى العرب نظرة تقدير واعجاب .

العروسي المطوي :

شعوري هو شعور بالوجود بعد التيه والضلال .. لقد رفعنا في هذه الايام رؤوسنا بعد الانتكاس .. وكل ذلك دليل على ان العربي يطلب الموت من اجل الحياة .

ان هذه الحرب كذبت اسطورة ان عصا موسى انتقلت الى موشي ديان .

واتوقع ان العالم ـ بعد الانتصار الذي حققه العرب ـ سيغير نظرته تجاه العرب واسرائيل وسيصبح ينظر الى العرب نظرة فيها جد واحترام .

اما اسرائيل فانها ستفكر مستقبلا في كيفية عيشها لان وجودها متوقف على ارادتهم لها في العيش القائم على العنصرية والتمييز بين الاجناس .

ونتيجة لكل ذلك اقول ان مصير الشرق الاوسط هو بيد ابنائه لا بأيدي الدخلاء مهما طال الزمن ومهما تكاثرت المحن .

ابو القاسم كرو :

شعوري هو شعور اي انسان كان سجينا في زنزانة وليس له بصيص امل في ان يفرج عنه يوما وهو اسير في ايدي اعداء الداء اشداء ، وفجأة وجدت نفسي حرا طليقا بل اكثر من ذلك قويا قادرا على ان اضعهم هم في نفس الزنزانة وفي نفس الوضع الذي جعلوني فيه .. وبذلك شعرت بالحرية والكرامة والاعتزاز .. اكثر من ذلك شعرت باننا نملك حرية الارادة وحرية العمل ونملك القدرة الكاملة على الدفاع عن النفس والحاق اقصى ما يمكن من الخسائر بالعدو .

ان هذه الصورة تحدد معالم الانقلاب الهائل الرائع العظيم الذي حدث في خلال ساعات معدودات من يوم ٦ اكتوبر فعكس لا في ذهني فقط بل في ذهن كل الشرفاء في العالم صورة ٥ جوان ١٩٦٧ اذ اصبح وضع العرب في ذلك اليوم المشؤوم هو وضع الصهاينة اليوم ووضعهم

يوم ذاك هو وضعنا اليوم ومهما تكن تطورات القتال ونتائجه في المدى القريب والبعيد فان الذي حققه العرب في هذه الايام لن يخسروه ابدا وهو اثباتهم انهم يستطيعون ان يفرضوا ارادتهم وان يحطموا ارادة العدو .

وهناك معنى اخر كان غير واضح في ذهني ولم استطع تعليله او تبريره طيلة السنوات الست الماضية وفهمته وادركت ابعاده في هذه الايام واعني لماذا كان العرب المحيطين بالصهاينة يرفضون المفاوضات وهم قد هزموا وفقدوا كل امكانياتهم العسكرية ، فما حققه الجيشان المصري والسوري في هذه الايام اعطى الجواب وقدم ما يقنع من اعمال لا شك انها ستكون نقطة تحول في تاريخنا وفي تاريخ اعدائنا ايضا .

جعفر ماجد :

لهذه الحرب في رأيي معنيان مختلفان .. اولا : على الصعيد القومي والشخصي هي انتفاضة الانسان العربي وانتصاره على اليأس ومخلفات عدوان ١٩٦٧ الذي عقدنا كثيرا حتى جعل منا ضحايا لحرب نفسية كادت تحقق للصهاينة من الانتصارات ما هو اخطر من تحطيم الطائرات ، اعني بذلك تدمير وتحطيم النفوس والتشكيك في الحضارة العربية والقدرات الثورية في اجيال النهضة التي سميت بتسرع ـ اجيال الهزيمة . وقد قرأت في بعض الصحف ان يهود العالم يشعرون بانفسهم مدينين لاسرائيل لانها خلصتهم من العقد القديمة التي غرستها في نفوسهم الاوضاع العنصرية على مر الحقب ، فأقول بدوري ان كل عربي مدين منذ اليوم للمقاتلين على الجبهة بتحريره من آثار العدوان النفسية مهما تكن نتيجة الحرب لان ضربة السيف أشرف من ضربة الصوت .

ثانيا : على الصعيد العالمي ، أخذت هذه الحرب شكل صراع بين العالم الثالث والامبريالية خاصة بعد انتصار القارة الافريقية للقضية العربية ، ومن هذه الزاوية نستطيع ان ندرك خطورتها لانه يعد أمر يصدق نخوفات اسرائيل من القاء اليهود في البحر ، فاذا اكتست المعركة الحدة التي نراها اليوم فلأن الرهان ليس بالهين وعلى كل حال فان انتفاضة السادس من اكتوبر التي يسميها الغربيون معركة (الكيبور) ونسميها نحن معركة رمضان غيرت كل المعطيات السياسية في الشرق الاوسط .

واذا كان من الصعب ان نكهن بالتطورات من الآن فمما لا شك فيه ان النتائج ستكون خطيرة جدا سواء كان ذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي او حتى الثقافي والادبي بصفة خاصة .

عبد الواحد ابراهيم :

الحرب الدائرة اليوم حرب حضارية : حرب اثبات ذات .. واثبات وجود ..

هي حرب تحرير فرضت على العرب في هذه المرحلة العصيبة من تاريخهم ، تحرير أنفسهم من العقد والمركبات والاحكام المسبقة التي تركت على جباههم بصمات فذرة يدمغها بكل تنكر من عرفهم ومن لم يعرف .

(انه لا يقتل الرجل مثل الهم) . هذه قولة معروفة جرب العرب مدلولها في هذه السنوات ، وقد اختاروا اليوم الموت بالنار على الموت كمدا .

هذه اذن حرب تحرير نفسي قبل ان تكون حرب تحرير لكيلومترات الارض البور .. فلنتدبر ذلك أولا لانعكاساتها المنتظرة والهامة جدا بالنسبة لحضارة الامة العربية ـ بل لوجودها اساسا فيما يستقبل من الزمان .

يحق لنا ان نعتز لاننا قد انتصرنا بعد ان انتصرنا حتى في حالة الهزيمة ، اذ ما نخاف ان نخسر اكثر مما خسرنا ، بل ماذا عسى ان نفعل وحالة السلم غدت موبوءة لا تمنح أمنا ولا شرفا ولا استقرارا .. فما بالك بالتقدم .

وأختم قولي ببيت شعري قاله الشاعر الجزائري الاخضر السائحي ويعجبني ترديده :

فاما العمارات في اللد شامخة
واما الخيام جميعا حول لبنان

عروسية النالوتي :

منذ قرون والانسان العربي يعاني مركبات وعقدا تزيد في تقهقره كلما اراد القفز واجتياز مرحلة ما من المراحل التي تحول دون وصوله الى تحقيق منجزات يحاور بمقتضاها العالم الغربي .

الانسان العربي كان وما يزال يعتقد بأن الايام أدارت له الظهر وانه لن تقوم له قائمة ما دامت العثرات منعلقة بخطواته البطيئة .

كان يكفي ان يكون هناك حدث ايجابي حتى يسترجع العربي ثقته في نفسه ، سواء أكان هذا عن طريق ثورة فكرية او عن تحول ايديولوجي او عن قفزة اقتصادية .

اما عن الثورات الفكرية فان العالم العربي ما زال يخوض غمارها ، فتارة يطفو وأطوارا يغيب في لجة المتناقضات والمعميات .

واما عن التحولات الذهنية والعقائدية فما زالت التناحرات في منازعها الاولى ولكن وجودها في حد ذاته دليل مادي على ارادة التحول وتجاوز الاوضاع المراهنة بكل ما فيها من جمود ومشاعر فردية لا مقر لها الا حدمه مصالحها .

لقد آن الاوان لان نلغي اعتبارات الحدود الجغرافية والسياسية.

طبعا نحن لا ندعي ان نبعث امبراطورية عربية ، فقد لا نكون نرغب فيها ، بل المهم هو ان يتحد اقتصادنا ، وتربط شعوبنا العربيه مصالح مشتركه فلا نكون مدينين للعالم الاول او الثاني او العاشر ، وبدلت نرضى بالدون امام المساومات التي يمارسونها علينا .

ان محور تقدمنا وتحررنا هو اكتفاؤنا الذاتي واكتساب شخصيتنا على ما عندنا من موارد طبيعية يمكن لنا استغلالها استغلالا اقتصاديا يرفعنا عن منطقه الصفر ويجعل العالم ينتظرنا لان لنا كلمة في كل موقف نقولها .

فماده البترول مثلا تشكل اكبر مورد يمكن ان يقف عنده العربي ويعيد النظر في كيفية استغلاله بطريقة حرة غير عميلة .

واني أعتقد شخصيا ان الحرب في حد ذاتها لا تشكل انتصارا قائما بذاته الا متى كانت الكهارب التي تدور حولها مشحونة بكل الطاقات المولدة للحركية والخلق الدائم .

فكسب الحرب هي خطوة اولى نحو تحول نرجو ان يكون في خدمة القوى التحررية ويخلق من حوله مناخا ملائما لبعث جيل مفكر جديد يكون له شرف انقاذ عالمه من ضغوط الهيمنة الفردية .

هذه بعض الخواطر التي تدور في ذهني .. كتبتها بصورة مشوشة توحي بمدى الفوضى والحيرة التي نعيشها هذه الاسابيع الاخيرة أمام الحدث النزاعي بين العرب والقوى الاستعمارية التوسعية ، وكل ما ارجوه هو ان تتضح الرؤية في الايام القادمة وتكون في خدمه الحرية العربية .

فاطمة سليم :

هذه الحرب رائعة .. هذه الحرب أعادت لنا احساسنا بالقوة والمقدرة والاتحاد واننا ـ خير أمة أخرجت للناس ـ .. هذه الحرب فتحت أبواب الامل عريضة كبيرة في وجوهنا ومزقنا بها شبح الهزيمة الاسود وألقينا بثوبه الوسخ عرض البحر بل حرقناه وأذرينا رماده في السباخ .

الايام الاولى من الحرب شعرت فيها بالرهبة والحرج . تذكرت حزيران ١٩٦٧ . لكن بمرور الوقت وورود انباء الانتصارات المقوية للعزائم والباعثة على الامل بدأت أشعر وكأني كنت مريضة وشفيت فجأة ، بل وكأني أسترجع فواي بصورة غريبة ، وأنا أعيش في كل لحظة من لحظات يومي مع الانباء القومية والعالمية وأتتبع تفاصيل الحرب وأتناقش فيها مع كل الناس . توقعاني للمستقبل القريب والبعيد هي ان لا نهزم ابدا ، فمعنوياتنا ارتفعت وماديا تنا في تصاعد ونحن مستعدون للنضال حتى النصر النهائي .. النضال على جميع الجبهات ، أعني بذلك اننا سنتحول الى مناضلين ، كل في ميدانه ، لتحقيق الغاية الكبرى وأن نكون دائما ـ خير أمة أخرجت للناس ـ .

الصباح
٢١ تشرين الاول